بسْـــــم الله الرّحْـــــمن الرحِـــيم

تَبـاً لكلّ الكليــات العسكـرية في العالم المتحضـر ,
سـُحقاً لِكل أساتِذَتِــها ,
وَيلاً و ثبوراً لجميعِ كَوادِرَهــا و طُلابـها....
ألا بُعْداً لكــل أصحــاب الأوسمة و النياشيـن العسكرية " التافـهة , "

فبـعد أن رأيت جنود دولة العراق الإسْلامية , ازدَرَيْـتُهم جميــعا ,

علــمت أنّهم مُتَطّـفِلين أغْبيـاء عَلى فنون النـزال ,
أدركت أن الأكـاديميّة العسكرية الأمريكية في نيويورك و الكلية الملكيّة العسكرية في لندن لا تَصلحا أن تكونـا حَضــانَة لأطفال رجـال دولة العراق الإسلامية...

فهناك في بلاد الرافديْن , تمّ افتتـاح أعرق جامــعةٍ فـي عُلـوم القتــال ,
تُقدّم أرقـى تَعْليمٍ فــي الفنون العسـكرية ,
أساتِذَتُــها , أبطالٌ مَيْدانيّين مـن كـوادر الدولة الإسلامية ,
غريبُـون بعض الشّــيء ,

فــهم لا يلبسون البدلة أوالبُستار العسكريّين ...و لا يُرَصّعون صدورهم وأكتافهم بالأوسِمة و النّياشــين,
حين تَـرى هؤلاء البُروفُسورات ... بل قل الجِنرالات ,
لا تُصَدق أنـهم هُمْ من رَكّعَ أقـوى جيشٍ مَـادي فِـي التــاريخ ,

بُســطاء دون سذاجة ,
فــقراء دون حــاجة ,

لا يَلبسون أكثر من مَـلابس " البيت "
و أحذية رياضية تَقْليدية مُـهترئة على أحسن حال ,

يدمر أحـدهم دبّابة أمريكية بقيمة 3 ملايين دولار و عَلى مَتـنها خمسة جنود و هو يلبس " تي شيرت " أسودا , و بنطلوناً رياضياً بُنّيا , و " شِبْ شِباً " بلاستيكيّا أخضرا,

مَلابسٌ ... لا تَصلح حتى لحفلة تَـنَـكّريّة,
مَلابسٌ ...لا تصلح لتـذهب بها بين غُرفتَيْـن في نفس المنزل,
مَلابسٌ... لا يبـلغ ثمنها 10 دولارات...

لكنه يدمر بـها أقوى دَبّـابة في العــالم ,

هكذا يَنْقضون النظريات العســكرية...

"المـلابس العسْكرية لَيسـت جُـزْءاً من العمل العســكري"

و حين يسـأله طفله الصغير و هو ينفـض الغبــار عن ملابِسه : أيـن كنت يا أبي!
يقول له البطل:

"لا شَيْء يا بنيّ , كُنت فقط أصطاد بعض الفئران التي خـرجت من جُحـورها"

يقترب من الدبّــابة و كأنها دابــة ...يريد أن يعلفها ,

هــكذا روّضوا آليـات العـدو المُفتـرسـة!

لا تصـدق أنّ الجنـرال قرّر تدميــرها ,

يتسـَلل أسفلها كأنه " ميـكانيكي دبـابات " يريد أن يَتَفَحّـصـها , ثم يقرر إرسـالها بمن فيها إلى كراج الخـردة , بعد أن فشَلت في فـحص " المُــواجهة"

Error!



يا أيها الجنرال:

وَ الله لو كـنتَ أمريكياً لأقتـلعوا تـمثال الحرّية مـن جذوره كضـرس مُسوّس و نصبوا تذكارك مكانه ,

لوَضـعوا صورتك على الدولار مـن فئـَة المِئة ,

لعرضـوا حـذاءك البلاستيكي فِـي مـَزاد نيويورك العالمي على أن يكون افتتاح المُـزاودة بعشـرة ملايين دولار ,
لجـعلوا يوم ميـلادك عطلة وطنّية يذبـحون بها الدّيك الرّومي و يلبـسون بها مـلابسك" العجيبة " ,

لأنتـجوا عنك عشـَرات الأفـلام السّينمائية الحـرببّية يـنال أكثر من نصفها جائزة الأوسكار ,
لتـعاقدت معك دار النّشـر " Beyond words " الأمريكية الشهيرة لتنشر – حصريّا - مـذكراتك حـول تـلك اللّحـظات التـاريخية التي اختـصرت مفـهوم الشجاعة بمشهد مُصَوّر ,

أما و أنت مسلم ,
مـن أمــة سيّد المرسلين صلى الله عليه و سلم ,
فلن يكافئك قائِدك المجاهد بغير " طـبْـطـبْـة تَـرَضـِّي عـلـى ظهرك " و شيك مُؤَجل بقيمة " جزاك الله خيرا " يُـصرف يـوم يـفر المرء من أخيه , و أمه و أبيه و صـاحبته و بنيه...
و بشـارة نبوية , و يا لها من بشـارة:

"لا يَـجتمع كـافِر و قـاتله في النـار أبداً(1) "

يا أيـها الجـنرال!

أبـهذه المَلابـس تدَمر حَضارة , و تبني أخرى!

أبهذه السهولة " المُـمْـتَـنِـعَة " تُغير مجرى التّاريخ!

أبهذه البَساطـة تـُفَجـر أعتا وحش آليّ يـزحف علـى وَجه المـعمورة ,

لا غرابة!

فـهذه جـامعة دَولـة العراق الإسـلامية العسكرية!

تَـجد أحـدهم قد قتل بيـده أكثر من مِئـة علج و مرتـد ,
شـَارك في أكثر من مئـة غزوة ,
خطـّط لأكثر من مئة كَـمين ,
ثم تجده في المعركة يتقدم الصـفوف ,
و يتلقى أول خطوط العدو , بسلاحه , و إن عز فـبصدره...

الطُلاب النجبـاء يحاولون منع تقدم قائــدهم..
يَقدون قميصه من خـلف:

"تـوقـف يا جنرال !
...ارجـع يا جنرال"

لكـن الجنرال لا يعرف ما معنى التوقف أو الرجوع , فهذه الكـلمات من الأفـْعال المنسوخة من قاموسه,

ينظر الجنرال إليــهم بكل " عطف و حب , " و نظراته المُفوّهة تُـلَـقنهم التعليمـات في صمتٍ " صَـاخِب: "

"فِي جـامِعة دولة العراق الإسلامية العسكرية , القـادة يتقدمون الجنود في المعـارك "

هـكـذا يُسقطون النظريات العسكرية....

بعض الجُنـــود يجـد صعوبة فــي تقبل الـدرس ,

فمـن يقبل لقـائِدِ أرْكـان أذاق الأمــريكان الـهوان , أن يكـون في مدى بنادق عبّـاد الصّلبـان!

منْ يقبل لجَـزّار مُـحترفٍ , مُتخصص في تقـطيـع اللّحوم الصفراء المستوردة أن يُقتل في إطلاق نـار مُـتبادل ؟

يصرخ الجنود "..... يا قـائدنا , نحن نَكْـفِيكـهم , ارجـعْ للـورَاء" !

لكن الجنرال يدرك أنـها هـيَ الطريق... و الطّـريقة ,
و حين تَـتَـخَضّب لِحيته بدمـائه الـذّكـيـة ,
و تـرتـخي سبـابته الضاغِطة على زنــاد البنـدقية,
فقـط ...لتَـتَـشّهد أخر تـشـهد في الحياة الدنْيـوية ,
حِـينها ... تـكتـمل فُـصول الـدرس,

و يَقْـرع الجرس إيذانا بانتـهاء المـحاضرة,

وَ يتـحوّل كل جنـوده إلى جنـرالات يتقدمـون الصفوف ,
كلٌّ منهم يُعـلّم جيـلا من الطلاب ,
ويـَرحلون...

الخـط الفاصل بيـن المـوت و الحيـاة عندهم غيرُ واضــح ,
فأحْيــاءهم أحْياء , و أمواتهم أحْيـاء ... لكن عند ربهم ,
و رزق كـلاهما يجـري عليه ,
مُعْجَمُهُم اللّـغوي مـمـتلئ بالمُـتناقضـات ,
لا يَفـهـمها إلا النـاطق بـلغتهم,

يسَمّون العسر يسراً , و الموت نصراً , و الصبر أجراً , و الفشـل عاراً....

أما الهَيئة التدريسيّة في جـامعة العراق الإسلامية العسـكرية!

فيبـقون على رأس عملـهم حتــى بعد رحيـلـهم عن الدنيا!

لذلك,
تجد هناك عندهم بُروفسورا قديـرا اسمه أبو مصعب الزرقاوي ,
مــازال على رأس عمله حتى بعد رحيـله,
يعلّم الطلاب فنون القتَـال و النّـزال من قـبره المجهول ,
يعلمهم كيف يَـعيشوا ....و كيـف يَمــوتوا!
و كيف يصـيروا أساتذةً في مـدرسة الخُـلود
يـعلمــهم كيــف تَصِير الأجسـاد عبئاً على الأرواح , و قيداً ثقيـلا يعيـق حركتها , لا تتـحرر إلا بفِراقها,

مازال أبو مصعب الزرقاوي يتقاضـا أجره على كل درس يقدمـه من سيـرته العطرة ,
يتحصّل عليه فورياً مـن بنك " الصدقة الجارية "
حيث الحسنَة بعشرة أمثـالها,

الحبـر المسـتـخدم في التـدريس هو الدم,
يقــولون:

"هذا الحبـر فريدٌ , فـهو يمنـح الخُلـود لكل حَرف يُخَطُّ بـه "

مَشـاريع التـخرج لا تقبـل إلا بـه ,

إذا سـمعتـهم يتـحدثون عن تَـخريـج دفـعة جـديدة من الجنـود ,

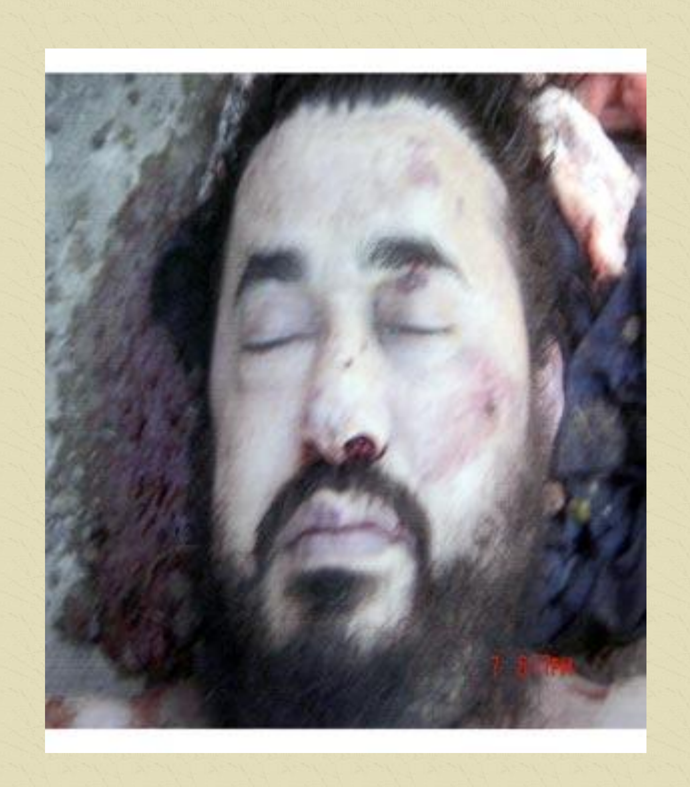
فاعلمْ أنّ ملحمــة ما قد حـصلت في أرض العـراق ,

و أن كوكـبة من الشَّــهداء قد ترجـلت,

لم يحصلوا على شَهادة بكـالوريوس أو مـاجستير أو دكتـوراه,

بل شَـهَادَةٍ في سـَبيل الله ,

هـِي أعلى الشهادات العسـكرية التي تمنـحها جـَامعة العراق الإسـلامية العسكرية ,
يُعَلقون سِيَرهَم في ألبـوم " تَخَـرُّج "
يوزعونه على الطّـلاب المـستجدين ,
و فــي أول صفحة وضعوا سيرة المـؤسـس ,
كتبوا تحت اسمه " على دربـك يا أيها المعلم"



رَقموا في أول فقرة من سيرته:

"إذ إنّ فضل إلهنا..ليْست تحُيط به الظنون...

ياربّ.. ألحِقنا بمن يجري لهم دمع العيون...

ذِكراهمُ تهزي على جَذب القلوب لكما المُزون

تُحيي العزيمة والكرامة في إباء لا يهون...

فعسى نسير بسيرهم...دوماً كما كانوا نكون

كانوا نُجوما للسّراة لأنّهم...متمَيّزون"

آخِرُ جملةٍ في سيرته تقول:

"خادم الجهاد و المجاهدين , المعتز بدينه أبو مصعب"......

يَحمْلون معهم كتاب يد أو(Hand Book)
لا يُفارقهم أبدا ,
حتى أوقات فراغهم , يقضونها بدراسته و تدبره,
إن استعصت عليهم مسألة يقلّبون صَفَحاته بحثاً عن الحل ,
يرجعون إليه في كل صغيرة و كبيرةٍ..

لو أضــاع أحــدهم عِقالَ بعــيره لبحث عنه في ذلك الكتاب(2) !
فـهو مـرجـعهم الأول...

إنه المُـصْـحـف الشّــريف ...

يَعتبرونـه من الدروس الإجـبـارية في كليتهم العسكرية ,
إن أطلـقوا قـذائف هـــاون , تـلوا:
"وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَــكِنَّ اللّهَ رَمَى(3) "

إن قام أحدهم بعملية اسْـتـشهادية قَـرءوا:

"نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ(4) "

حـَتى كأنـهم يحاربون بالقـرآن , و يغزون بالقـرآن و ينتصرون بالقـرآن ,

كأنـهم قـرآن " يَمْـشي " على الأرض,

كأنـهم قـرآن " يحــارب "في الميدان ,

كأنهم قـرآن " يُقرَأ " في المحراب,

يَحتار بهم أعداؤهم ... لا يـجتمع اثنــان منـهم على تَـسميةٍ ,

فـمن رآهم و قد تـمردوا على كل نـظام طـاغوتي يقــصي شَرع الله و يُعَبِّد الناس للناس , قال عنـهم "مُتمردين, "
و مــن رآهم و قد زرعوا الرعب في قـلوب المحتل و أذنابه , حتى كأن الطير تتخطفهم من السمـــاء , قال عنهم " إرهـابيين,"
و من رآهم و قد وصلوا إلى أقصى نقطة في الشجاعة , تلك النقطة الحدودية الفاصلة بين الشجاعة و الجنون ... تلك النقــطة من الشـــجاعة التــي ما بــعدها إلا الجـنون , قال عنـهم " مَـجـانين , "

أما قـائـدهم أبي حمزة المهاجر , فللّه دره من صنديد لم تلد النساء مثلـه ,
لو فرشا أسنانـه لوجدت العَـالم بأسره يتساءل عن نوع معجون الأسنان الذي اسـتـخدمه ,
لو تعثرت قدمه برِبَاطِ حـِذائه... لوجـدت الدنيا تتنــاقـل الخبر من عنـاوين الصفحات:
"أنباء عن إصـابة المـهاجر" !

كيف لا و هو " أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين , "
كيف لا و هو خليفة " الزرقاوي , "

أنعم به من خير" مُضَـاف " إلى خَير " مُضَـاف إليـه , "
أنعم به من خير خلف لخير سـَلف,

بينما يعيش مئات الملايين من رجـَال الأمّة على هامـش الحـياة , لا يـمـوتون فيها ولا يحيون ,
حياتـهم " مَـيّتة , " و موتـهم " أمـوت , "
ليس لهم دور في المعركة المستعرة بين الكفر و الإيمان ,
اللّهم إلا أنـهم " غنيمة للمنتصر , " يقودهم حيث يشاء مع السبايا و الصبيان و الدواب و المتاع
...

و ما أصدق من قال:
هنــاك من يمـوت , فتبكي عليه الأمّة,
و هنــاك من يمـوت فلا يبكي عليه إلا أمُّه,
و أقول:
بل هنـاك من يموت فلا يبكي عليه حتى أمّه,

لله دركم يا أسـود دَولــة العـراق الإسلامية ,
لله دركـــم يا حُمـاة الإسـلام ,

و الله إن حبـكم يورث في القلب عزة ما مثلها عزة , و نشـوة ما طاولتها نَشـوة , فجزاكم الله خيرا
على كل قطرة عرق أو دم تريقونـها في سبيل الله ,

اَختم مقالتي هذه برجــاء حار...
من دَوْلَــة العراق الإسلامية أدام الله ظلها ,
كـم أتمنى أن أعـرف لـَقب أخانا البطل مُفجر الدبــابة ,
آه , لو تصل زَفراتــي إلى أسُود دولة العراق الإســلامية , فينبئونا بلقب ذلك الضّرغام ,

أبو .... ؟
أبو ....الأنصاري ,
أبو ....المهاجر,
أبو ....الشامي,
أبو ....المقدسي...
أبو ...الكردي...
أبو ....الأردني...
أبو ....المدني...
أبو ....اللبناني
أبو ...الليبي..
أبو ...المصري...
أبو ...البغدادي...
أبو... البصري..
أبو.... الفلوجي...
أبو!..........

فلـقد حق لنا أن نسمي ذكورنا باسمه حتى يكبروا رجَـالا,
و حق لأبي دجانة الخراساني أن يتسمى بأبي.......

"أبُو دُجَانة الخراســـاني "

---

(1)رواه مسلم.
(2)ذكرت في رواية عن عبدالله بن عباس , راجع الاتقان في علوم القرآن للسيوطي.
(3)الأنفال 17
(4)الصف 13

